« البراري · وديان ، وسهول ، اعشاب ، زهور ، طيور ، اعشاش · فصاء · مساء · ضباب · للبراري قاموسها ومفرداتها وحروفها الهجائية · وقلعة ارنون شامخة وعالية ، ومن خلال الضباب تبدو عابقة بالتاريخ والاسرار · هل حقا بناها صلاح الدين · وهل مر رجاله عبر هذه البراري · اكاد في الليالي التي يتوقف فيها القصف اسمع صهيل جيادهم · وعندما تهب الرياح الشرسة ، اشم رائحة ذكرياتهم التي زرعوها في هذه البقاع مثلما كانوا يزرعون الورود في شعر حبيباتهم ، والكلمات في تفاعيل قصائدهم » ·

وخارج نوبته ، يبدأ المتطوع في تنظيف سلاحه ، ثم يضع حبة في بيت النار ويصوب في الفراغ· يطير رف من العصافير ، وتخرج سلحفاة تحمل على الظهر صدفتها، وتمشيببطء· تغيب الشمس فجأة خلف غيومرقيقة· تبدأرحلة الضباب· يطفح الوادي بالبخار المتحرك· يتساقط الرذاذ· تختفي السلحفاة رأسها، ويسكن الجسد ، وتبقى الصدفة عارية · يفتح المتطوع علبة سردين ويأكل على عجل ، يلقي بالعلبة الفارغة · يقول يوسف الذي يحلم بركوب الطائرات ورؤية روما ··

ـ لماذا يخافون منا في المطارات ايها المتطوع ؟

ـ لاننا نخطف الطائرات ·

ـ هل انت ضد خطف الطائرات ؟

ـ اجل ·

ـ لماذا ؟

ـ لانني ضد الارهاب والعمليات الخارجية ·

ـ ماذا يعني ضد الارهاب والعمليات الخارجية !

بدأ المتطوع يشرح · ويشير بأصابعه ويديه · وينفعل ، وتتغير تقاطيع وجهه ·· وعند اشجار الصنوبر كان ابو اروى يجمع الحطب الجاف · وعلي الذياب ، يحمل البارودة على كتفه ، ويذهب الى عين الماء التي تبعد كيلومترين ليغتسل ويغسل ثيابه · توقف المتطوع عن الحديث فجأة ·

ونظر يوسف بدهشة الى الطريق · وقال : ـ ها هو سعيد · قد جاء اخيرا · سعيد ·· سعيد ابو جابر ·

كان يمشي متمهلا · يلف نفسه بفروة من الصوف ، ويحمل عصا يتوكأ عليها · لحيته كثة · يشبه حارس الغابات الذي يعيش في الخلاء ··